

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثَ

«غزوة ذي أَمَر»

في المحرّم، غزا النبي ﷺ نَجْدًا، يريد غَطَفَانَ، واستعمل على المدينة عثمان، فأقام بنجد صَفْرًا كُلَّهُ، ورجع من غير حرب. قاله ابن إسحاق^(١).

وأما الواقدي^(٢) فقال: كانت في ربيع الأول، وأن غيبته أحدَ عشرَ يوماً. ثم روى عن أشياخه، عن التابعين: عبدالله بن أبي بكر بن حزم، وغيره، قالوا: بلغ النبي ﷺ أن جمعاً من غطفان، من بني ثعلبة، بذى أَمَر، قد تجمّعوا يريدون أن يُصيبوا من أطراف المسلمين، والله أعلم.

غزوة بُحْران

قال ابن إسحاق^(٣): أقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ربيع الأول. ثم غزا يريد قريشاً.

قال عبدالملك بن هشام: فبلغ بُحْران، مَعْدَنًا بالحجاز، فأقام هناك ربيع الآخر كُلَّهُ، وجمادى الأولى. وبُحْران من ناحية الفرع. ثم رجع ولم يلق كيداً.

(١) ابن هشام ٤٦/٢.

(٢) المغازي ١٩٣/١.

(٣) ابن هشام ١٤٦/٢.

وقال الواقدي^(١) : غزا النَّبِيُّ ﷺ بني سُلَيْمٍ بِبُحْرانَ، لِسِتِّ خَلَوْنٍ من جُمادى الأولى. وبُحْران من ناحية الفُرْعَ بينها وبين المدينة ثمانية بُرْد. فغاب عَشَرَ لَيَالٍ. وكان بلغه أَنَّ بها جمعاً من بني سُلَيْمٍ، فخرج في ثلاث مئة، واستخلف ابنَ أُمِّ مكتوم. الفُرْعَ: بضم الفاء وسكون الراء بين مكة والمدينة.

غزوة بني قَيْنُقَاع

- مثلث النون -

ذكرها ابن إسحاق^(٢) هكذا، بعد غزوة الفُرْعَ.

وأما الواقدي، فقال^(٣) : كانت يوم السبت نصف شَوَّال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة. فحاصروهم إلى هلال ذي القعدة.

وقال البُكَّائي: قال ابن إسحاق^(٤) : ومن حديثهم أَنَّ رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قَيْنُقَاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النَّقْمَةِ، وأَسْلِمُوا فَإِنَّكُمْ قد عرفتم أَنِّي نَبِيُّ مُرْسَلٍ، تجدون ذلك في كتابكم وعَهْدِ الله إِلَيْكُمْ. قالوا: يا محمد، إِنَّكَ تُرَى^(٥) أَنَّا كَقَوْمِكَ؟ لا يَغْرَنُّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْماً لا عِلْمَ لَهُم بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فِرْصَةً. إِنَّا والله لو حاربنا لتعلمنَّ أَنَّا نحنُ الرجال.

عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إِلَّا فِيهِمْ ﴿قُلْ لِلَّهِ

(١) المغازي ١/١٩٦.

(٢) ابن هشام ٢/٤٧.

(٣) المغازي ١/١٧٦.

(٤) ابن هشام ٢/٤٧.

(٥) هكذا جَوَّد البشتكي ضبطها عن المؤلف، وفي المطبوع من السيرة: تُرَى.

كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴿١٢﴾ [آل عمران] الْآيَتِينَ .

وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أَنَّ بني قَيْنِقَاع كانوا أولَ يهودٍ نقضوا وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد .

قال: وعن أبي عَوْن، قال: كان أمر بني قَيْنِقَاع أَنَّ امرأةً من العرب قدمت بِجَلَبٍ لها فباعته بِسُوقِهِمْ، وجلسَت إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها، فلم تفعل، فعمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعمده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءُهَا فضحكوا، فصاحت، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، فشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فأغضبَ المسلمين ووقع الشرُّ .

وحدَّثني عاصم، قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكْمِهِ . فقام إليه عبدالله بن أُبَيِّ بن سَلُول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَوَالِيَّ . فأعرض عنه، فأدخل يده في جَبِّ درع رسولِ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أرسِلني، وغضب، أرسِلني، وَيَحْك . قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في مَوَالِيَّ: أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداةٍ واحدة، إني والله امرؤٌ أخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ: هم لك .

وحدَّثني أبي إسحاق^(١)، عن عُبَادَةَ بن الوليد، قال: لما حاربتُ بنو قَيْنِقَاع رسولَ الله ﷺ، تشبَّت بأمرهم ابنُ سَلُول وقام دونهم .

قال: ومشى عُبَادَةُ بن الصَّامِت إلى رسولِ الله ﷺ، وكان أحدَ بني عَوْفٍ، لهم من حِلْفِهِ مِثْلُ الذي لابن سَلُول، فجعلهم إلى رسولِ الله ﷺ، وتبرأ إلى الله ورسوله من حِلْفِهِمْ، وقال: أتولَّى الله ورسوله والمؤمنين، فنزلت فيه وفي ابن سَلُول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ

(١) ابن هشام ٤٩/٢ .

وَالنَّصْرَى أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ﴿٥٥﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسِرُّونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة]، وذلك لتولي عبادة الله ورسوله ^(١).

وذكر الواقدي ^(٢) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَاصِرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، إِلَى هَلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ. وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنَ الْيَهُودِ، وَحَارَبُوا حَتَّى قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ. فَأَمَرَ ﷺ بِهِمْ فَكُتِفُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كِتَابَتِهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ قُدَامَةَ السَّلَمِيِّ، مِنْ بَنِي السَّلَمِ، فَكَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ: خُذْهُمْ. وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَلِيَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَحَقُوا بِأَذْرَعَاتٍ، فَمَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ بَقَائِهِمْ فِيهَا. وَتَوَلَّى قَبْضَ أَمْوَالِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، ثُمَّ خُمِّسَتْ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سِلَاحِهِمْ ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ، وَدِرْعَيْنِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

غزوة بني النَّضِير

قال مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ: كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ. وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ وَنَخَلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ إِلَّا السِّلَاحَ، فَأَنْزَلْتُ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر] الْآيَاتِ. فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَكَانُوا مِنْ سَبْطٍ لَمْ يُصِيبْهُمْ جَلَاءٌ. وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ.

(١) ابن هشام ٤٩/٢ - ٥٠.

(٢) المغازي ١٧٦/١ - ١٨٠.

وقوله: ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾، فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

ويرويه عَقِيلُ عن الزُّهْرِيِّ، قوله. وأسنده زيد بن المبارك الصَّنْعَانِيُّ، قال: حدثنا محمد بن ثَوْر، عن مَعْمَر، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، عن عائشة. وَذِكْرُ عائشة فيه غيرُ محفوظ.

وقال ابن جُرَيْج، عن موسى بن عُقْبَةَ، عن نافع، عن ابن عمر: أن يهود بني النَّضِير، وقُرَيْظَةَ حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى بني النَّضِير، وأفرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حتى حاربوا بعد ذلك. أخرجه البخاري (١).

وقال مَعْمَر، عن الزُّهْرِيِّ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن رجلٍ من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، أن كُفَّارَ قُرَيْشٍ كتبوا إلى ابن أبيٍّ ومَنْ كان يعبد معه الأوثانَ من الأوس والخزرج قبلَ وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنَّا نُقسم بالله لتقاتلنَّه أو لتُخْرِجُنَّه أو لنَسِيرَنَّ إليكم بجمعنا حتى نقتلَ مقاتلكم ونَسْتَبِيحَ نساءكم. فلما بلغ ذلك عبدالله بن أبيٍّ وأصحابه، اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فبلغه ذلك فلقبهم فقال: لقد بلغ وعيدُ قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر ممَّا تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟ فلما سمعوا ذلك تفرَّقوا. فبلغ ذلك كُفَّارَ قُرَيْشٍ فكتبوا، بعد بدر، إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْفَةِ (٢) والحِصْنِ وإنكم لتقاتلنَّ صاحبنا أو لنَفْعَلَنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَمِ نساءكم شيء. وهي الخلاخيل.

فلما بلغ كتابُهم للنبي ﷺ، أجمعت بنو النَّضِير بالغدر، وأرسلوا إلى النَّبِيِّ ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليُخْرِجْ مِنَّا

(١) البخاري ١١٢/٥.

(٢) أي: أهل السلاح.

ثلاثون حَبْرًا، حتى نلتقي بمكان المَنْصَف^(١)، فيسمعوا منك، فإن صدَّقوا وآمنوا بك آمنّا بك. فقصّ خبرهم.

فلما كان الغد، غدا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فَحَصَرَهُمْ، فقال لهم: إنكم والله لا تأمنونَ عندي إلّا بعهدٍ تُعاهدوني عليه. فأبوا أن يُعطوه عهداً، فقاتلَهُم يومهم ذلك.

ثم غدا على بني قُرَيْظَةَ بالكتائب، وترك بني النَّضِير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم.

وغدا إلى بني النَّضِير بالكتائب، فقاتلَهُم حتى نزلوا على الجلاء. فجلت بنو النَّضِير، واحتملوا ما أَقْلَّت الإبلُ من أمتعتهم وأبوابهم وخشبهم. فكان نخل بني النَّضِير لرسول الله ﷺ خاصّة، أعطاه الله إياها، فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ۖ﴾ [الحشر]، يقول: بغير قتال. فأعطى النَّبِيُّ ﷺ أكثرها المهاجرينَ وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانوا^(٢) ذوي حاجة. وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها.

وذهب موسى بن عُقبة، وابنُ إسحاق إلى أن غزوة بني النَّضِير كانت بعد أحد، وكذلك قال غيرهما. ورواه ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَةَ. وهذا حديث موسى وحديث عُرْوَةَ: إن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النَّضِير يستعينهم في عقل الكلابيين. وكانوا - يزعمون - قد دَسَّوْا إلى قریش حين نزلوا بأحدٍ لقتال رسول الله ﷺ، فحَضُّوهم على القتال ودلُّوهم على العُورَةِ. فلما كلَّمهم رسولُ الله ﷺ في عقل الكلابيين،

(١) كتب على هامش الأصل: «أي: نصف الطريق».

(٢) هكذا في النسخ.

قالوا: اجلس يا أبا القاسم حتى تَطْعَمَ وترجع بحاجتك ونقوم فتشاور.
 فجلس بأصحابه، فلما خَلَوْا وَالشَّيْطَانُ مَعَهُمْ، ائْتَمَرُوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن، فاستريحوا منه تَأْمَنُوا. فقال رجل: إِنَّ شَتَمَ ظَهْرُ فَوْقَ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ تَحْتَهُ فَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ حَجْرًا فَقَتَلْتَهُ. فأوحى الله إليه فأخبره بشأنهم وَعَصَمَهُ، فقام كأنه يقضي حاجة. وانتظره أعداء الله، فراث عليه. فأقبل رجل من المدينة فسأله عنه فقال: لقيته قد دخل أزقة المدينة. فقالوا لأصحابه: عَجَلْ أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ نَقِيمَ أَمْرَنَا فِي حَاجَتِهِ. ثُمَّ قَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعُوا وَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة] الآية.

وأمر رسول الله ﷺ بإجلالهم، وأن يسيروا حيث شاؤوا. وكان التَّفَاقُ قَدْ كَثُرَ بِالْمَدِينَةِ. فقالوا: أين تخرجنا؟ قال: أُخْرِجْكُمْ إِلَى الْحَشْرِ. فلما سمع المنافقون ما يُرَادُ بِأَوْلِيائِهِمْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ: إِنَّا مَعَكُمْ مَحِيانًا وَمِمَّا تُنَاقِضُونَ، إِنْ قُوتَلْتُمْ فَلَكُمْ عَلَيْنَا النَّصْرُ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ لَمْ نَتَخَلَفْ عَنْكُمْ. وسيد اليهود أبو صفية حُيِّيَ بْنِ أَخْطَبَ. فلما وثِقُوا بِأَمَانِيِ الْمُنَافِقِينَ عَظُمَتْ غَرَّتُهُمْ وَمَنَاهُمُ الشَّيْطَانُ الظُّهُورَ، فنادوا النبي ﷺ وأصحابه: إِنَّا، وَاللَّهِ، لَا نَخْرُجُ وَلَوْ قَاتَلْتَنَا لِقَاتَلْتَنَّكَ.

فمضى النَّبِيُّ ﷺ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَخَذُوا السَّلَاحَ ثُمَّ مَضَى إِلَيْهِمْ، وَتَحَصَّنَتِ الْيَهُودُ فِي دُورِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. فلما انتهى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَرْقَتِهِمْ وَحُصُونِهِمْ كَرِهَ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ فِي دُورِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَحَفِظَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَعَزَمَ لَهُ عَلَى رُشْدِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يَهْدَمَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مِنْ دُورِهِمْ، وَبِالْخُلِّ أَنْ تُحَرِّقَ وَتُقَطَّعَ، وَكَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَيْدِي الْمُنَافِقِينَ فَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْفَرِيقَيْنِ الرُّعْبَ. ثُمَّ جَعَلَتْ الْيَهُودُ كُلَّمَا خَلَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذِهِ مَا يَلِي مَدِينَتَهُمْ، أَلْقَى اللَّهُ فِي

قلوبهم الرُّعبَ، فهدموا الدُّور التي هُم فيها من أدبارها، ولم يستطيعوا أن يخرجوا على النَّبيِّ ﷺ، وأصحابه يهدمون شيئاً فشيئاً. فلما كادت اليهود أن يبلغ آخر دُورها، وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا متَّوهم، فلما يؤسوا ممَّا عندهم، سألو النَّبيَّ ﷺ الذي كان عَرَض عليهم قبل ذلك، فقاضاهم على أن يُجْلِيَهُم، ولهم أن يحملوا ما استقلَّت به الإبلُ إلَّا السَّلاح. وطاروا كل مَطِير، وذهبوا كُلَّ مذهب. ولحق بنو أبي الحقيق بخيبر ومعهم آتية كثيرة من فضة، فرآها النَّبيُّ ﷺ والمسلمون. وعمد حُيَّيُّ بنُ أخطب حتى قَدِم مكة على قُريش، فاستغواهم على رسول الله ﷺ. وبيَّن الله لرسوله حديث أهل النِّفاق، وما بينهم وبين اليهود، وكانوا قد عَيَّرُوا المسلمين حين قطعوا النَّخل وهدموا. فقالوا: ما ذنبُ الشجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون؟ فأنزل الله ﴿سَبِّح لِلَّهِ﴾ سورة الحشر. ثم جعلها نَفْلاً لرسوله، فقسمها فيمن أراه الله من المهاجرين. وأعطى منها أبا دُجَّانة سِماك بن خِرْشَة، وسهل بن حُثَيْف، الأنصارِيِّين. وأعطى - زعموا - سعد بن مُعَاذ سيف ابن أبي الحقيق^(١).

وكان إجلاء بني النَّضير في المحرَّم سنة ثلاث.

وأقامت بنو قُرَيْظَة في المدينة في مساكنهم، لم يؤمر فيهم النَّبيُّ ﷺ بقتل^(٢) ولا إخراج حتى فضحهم الله بحُيَّيِّ بن أخطب وبجموع الأحزاب.

هذا لفظ موسى بن عُقبة، وحديث عُروَة بمعناه، إلى إعطاء سعد السَّيف.

وقال موسى بن عُقبة وغيره، عن نافع، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ

(١) الطبقات لابن سعد ٥٧/٢، وتاريخ الطبري ٥٥٠-٥٥٥، وابن هشام ٢٧٣/٢.

(٢) في نسخة البشتكي: «بقتال» وما هنا أصوب.

قطع نخل بني النضير وحرَّق، ولها يقول حسان بن ثابت:

وهانَ على سراةِ بني لُؤيٍّ حريقٌ بالبُويرَةِ مُستَظِيرٌ
وفي ذلك نزلت هذه الآية: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
عَلَى أَصُولِهَا فَأِذِنْ لَهُ اللَّهُ﴾ [الحشر]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١).

وقال عمرو بن دينار، عن الزُّهري، عن مالك بن أوس، عن عمر،
أنَّ أموال بني النضير كانت ممَّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممَّا لم يوجِف
المسلمون عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خالصةً يُنفق
منها على أهلِهِ نفقةً سنةً، وما بقي جعله في الكراعِ والسَّلاحِ عُدَّةً في
سبيلِ الله. أخرجاه ^(٢).

سرية زيد بن حارثة إلى القرَدَة

قال ابن إسحاق ^(٣): وَسَرِيَّةُ زَيْدٍ الَّتِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، حِينَ
أَصَابَ عِيرَ قُرَيْشٍ، وَفِيهَا أَبُو سُفْيَانٍ، عَلَى الْقَرَدَةِ، مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ.
وكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ قُرَيْشًا خَافُوا طَرِيقَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَسْلُكُونَ إِلَى
الشَّامِ حِينَ جَرَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ. فَخَرَجَ مِنْهُمْ تَجَّارٌ
فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانٍ، وَاسْتَأْجَرُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ يُقَالُ لَهُ: فِرَاتُ
ابْنِ حَيَّانٍ يَدُلُّهُمْ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَلَقِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
الْمَاءِ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا، وَأَعْجَزَهُمُ الرِّجَالُ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) البخاري ١٣٦/٣ و ٧٦/٤ و ١١٣/٥ و ١٨٤/٦، ومسلم ١٤٥/٥، وانظر
المسند الجامع حديث (٨١٣٠).

(٢) البخاري ٤٦/٤، و ١٨٤/٦، ومسلم ١٥١/٥.

(٣) ابن هشام ١٥٠/٢.

غزوة قَرْقَرَةَ الْكُذْر

قال الواقدي^(١) : إنها في المحرم سنة ثلاث. وهي ناحية معدن بني سُليّم. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

وكان ﷺ بلغه أنّ بهذا الموضع جمعاً من سُليّم وعُظفان. فلم يجد في المَحَالِّ^(٢) أحداً، ووجد رعاءً منهم غلام يقال له يسار، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنعم، فانحدر به إلى المدينة فاقسموها بصرار، على ثلاثة أميالٍ من المدينة، وكانت النعم خمس مئة بعير، وأسلم يسار.

القرقرة أرض ملساء، والكُذْر طير في ألوانها كُذرة، ومنهم من يقول: قرارة الكُذْر^(٣)، يعني أنها مُسْتَقَرُّ هذا الطير.

مَقْتَلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ

قال ابن إسحاق^(٤) من طريق يونس بن بُكَيْرٍ: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، وصالح بن أبي أُمّامة بن سهل، قالوا: بعث رسول الله ﷺ حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة، فبعث زيد بن حارثة إلى أهل السّافلة،

(١) المغازي ١/١٨٢ والذي فيه: «للنصف من المحرم على رأس ثلاث وعشرين شهراً»، وإنما قال الذهبي «سنة ثلاث» لأن المحرم صار سنة ثلاث بعد اعتبار التوريق بالهجرة منه، والذهبي كثير التصرف في مثل هذه الأمور، رحمه الله.

(٢) جَوْدُ البَشْتَكِيِّ ضبطها عن المؤلف، فوضع حاء مهملة تحت الحاء علامة الإهمال، وشدّد اللام.

(٣) هكذا ذكرها الواقدي في مغازيه.

(٤) ابن هشام ٢/٥١-٥٨.

وبعث عبدالله بن رواحة إلى أهل العالية، فبشّروا ونعوا أبا جهل وعُتْبة والملأ من قريش. فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله قال: ويْلَكُمْ، أَحَقُّ هَذَا؟ هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس. ثم خرج إلى مكة، فنزل على عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، وكانت عند المطلب ابن أبي وداعة، فجعل يبكي على قتلى قُريش، ويحرّض على رسول الله ﷺ، فقال:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لَمَهْلِكِ أَهْلَهَا	ولمثل بَدْرٍ تستهلّ وتدمعُ
قَتَلَتْ سُرَاةَ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ	لا تَبْعَدُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصَرِّعُ
كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهَا مِنْ أَيْضٍ مَاجِدٍ	ذِي بِهِجَةٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الضُّيْعُ
وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَذَلَّ بِسَخَطِهِمْ	إِنَّ ابْنَ الْأَشْرَفِ ظَلَّ كَعْبًا يَجْرَعُ
صَدَقُوا، فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةً قُتِلُوا	ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأَهْلِهَا وَصَدَعُ
نُبْتُ أَنْ بَنِي كِنَانَةَ كُلَّهُمْ	خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِي الْوَلِيدِ وَجُدَعُوا

قال ابن إسحاق^(١): ثم رجع إلى المدينة فشَبَّ بِأَمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ، فقال:

أَرَأِحِلُّ أَنْتَ لَمْ تَحْلُلْ بِمَنْقَبَةٍ وتاركُ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ؟
 فِي كَلَامٍ لَهُ. ثُمَّ شَبَّ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ.

وقال موسى بن عُقْبَةَ: كان ابن الأشرف قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء، وركب إلى قريش فقدم عليهم فاستغواهم على رسول الله ﷺ، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً. ثم خرج مقبلاً وقد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله ﷺ معلناً بعداوته وهجائه.

وقال محمد بن يونس الجمال المخرمي -الذي قال فيه ابن

(١) ابن هشام ٥٤/٢.

عدي^(١) : كان عندي ممّن يسرق الحديث. قلت: لكن روى عنه مسلم^(٢) - حدثنا ابن عُيَيْنَةَ، قال: حدثنا عَمْرُو، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عَبَّاس قال: قَدِمَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ، وكعب بن الأشرف مكة على قريش فحالفوهم على قتال رسول الله ﷺ. فقالوا لهم: أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب، فأخبرونا عَنَّا وعن محمد، قالوا: ما أنتم وما محمد؟ قالوا: نحن ننحُرُ الكوماء^(٣)، ونَسْقِي اللَّبَنَ على الماءِ، وَنَفُكُ العُنَاةَ، ونسقي الحَجِيجَ، وَنَصِلُ الأرحامَ. قالوا: فما محمد؟ قالوا: صُنْبُور^(٤) قطع أرحامنا وأتبعه سُرَّاقُ الحَجِيجِ بنو غفار. قالوا: لا، بل أنتم خيرٌ منه وأهدى سبيلاً. فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء] الآية.

قال سُفْيَان: كانت غفار سَرَقَةً في الجاهلية.

وقال إبراهيم بن جعفر بن محمود بن مَسْلَمَةَ، عن أبيه، عن جابر ابن عبدالله، قال: ولحق كعب بن الأشرف بمكة إلى أن قَدِمَ المدينة مُعَلِّناً بمعاداة النَّبِيِّ ﷺ وهجائه، فكان أول ما خرج منه قوله:

أَذَاهِبْ أَنْتَ لَمْ تَحُلْ بِمَنْقَبَةٍ	وتارك أنت أم الفضل بالحرم!
صفراء رادعة لو تُعَصَّرُ أَنْعَصَرَتْ	من ذي البوارير والحناء والكتم
إِخْدَى بني عامرِ هَامَ الْفُؤَادُ بها	ولو تشاء شَفَتْ كَعْبًا من السَّقَمِ
... لم أَرَشْمًا قبلها طَلَعَتْ ^(٥)	حتى تَبَدَّتْ لنا في ليلة الظلمِ

(١) الكامل في الضعفاء: ٢٢٨٣/٦.

(٢) لكن لم يثبت أن مسلماً روى عنه، ذكر ذكر ذلك المزي في «تهذيب الكمال».

(٣) أي: الناقة العظيمة السنام الطويلة.

(٤) على هامش الأصل: «الصنبور: الفرد الذي لا ولد له ولا أخ».

(٥) على هامش الأصل كتب: «لعله: أقسمت»، وكتب البشتكي: «بيّض له المصنف».

وقال: * طحنت رَحَى بدرٍ لمهلك أهلها* الآيات .

فقال النَّبِيُّ ﷺ يوماً: مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فقد آذانا بالشَّعر وقوَّى المشركين علينا . فقال محمد بن مَسْلَمَة: أنا يا رسول الله . قال: فأنت . فقام فمشى ثم رجع فقال: إِنِّي قاتلٌ ، فقال: قل فأنت في حِلٍّ: فخرج محمد، بعد يوم أو يومين، حتى أتى كعباً وهو في حائط فقال: يا كعب، جئتُ لحاجةٍ، الحديث^(١) .

وقال ابن عُيَيْنَة: قال عَمْرُو بن دينار: سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة فقال: يا رسول الله، أعجب إليك أن أقتله؟ قال: نعم . قال: فَأَذَنْ لي أن أقول شيئاً . قال: قل . فأتاه محمد بن مَسْلَمَة فقال: إِنَّ هذا الرجل قد سألنا صَدَقَةً، وقد عَنَّا، وإِنِّي قد أتيتك أَسْتَسْلِفُكَ . قال: وأيضاً لَتَمَلُّتُهُ . قال: إِنَّا قد اتَّبَعْنَاهُ فنَكَرَهُ أَنْ ندَعُهُ حتى نَنْظُرَ إلى أيِّ شيء يصير شأنُهُ، وقد أردنا أن تُسَلِّفَنَا . قال: ارهنوني نساءكم . قال: نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم . قال: كيف نرهنك أبناءنا فيقال رُهْنٌ بوسْقٍ أو وَسْقَيْن؟ قال: فأَيُّ شيء؟ قال: نرهنك اللَّأَمَةَ . فواعدهُ أَنْ يَأْتِيَهُ لَيْلاً، فجاءه لَيْلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاه من الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إِنَّمَا هو أخي أبو نائلة ومحمد بن مَسْلَمَة، إِنَّ الكَرِيم لو دُعِيَ إلى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لأَجَاب . قال محمد: إِذَا ما جاء فَإِنِّي قاتلٌ بِشَعْرِهِ^(٢) فَأَشُمُّهُ ثم أَشْمُكُمْ، إِذَا رأَيْتُمُونِي أَثْبُتْ يَدِي فدُونَكُمْ . فنزل إليهم متوشَّحاً، وهو ينفخ منه رِيح الطَّيِّب،

(١) البخاري ١٨٦/٣ و ٧٨/٤ و ١١٥/٥، ومسلم ١٨٤/٥؟ وانظر المسند الجامع ٣٣٦/٤ حديث (٢٩٠٩) .

(٢) أي: أخذ به .

فقال محمد: ما رأيْتُ كالِيومَ ريحاً، أي: أطيَّبُ، أتأذن لي أن أشمَّ رَأْسَكَ؟ قال: نعم. فشَمَّه ثم شَمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ يعني ثانياً. قال: نعم. فلما استمكنَ منه قال: دونكم. فضربوه فقتلوه. وأتوا النَّبِيَّ ﷺ فأخبروه. أخرجه البخاري (١).

وقال شعيب بن أبي حمزة، عن الزُّهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك، عن أبيه، أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرّض عليه كُفَّار قريش في شعره. وكان رسول الله ﷺ قدِم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم عبدة الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحَلَقَة والحصون، وهو حُلَفَاء الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدِم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك أو أخوه، وكان المشركون واليهود حين قدِم رسول الله ﷺ المدينة يؤذونه أشدَّ الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر والعفو، فقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة].

فأمر رسول الله ﷺ سعد بن مُعَاذ أن يبعث رَهْطاً ليقتلوا كعباً، فبعث إليه سَعْدُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَأَبَا عَبْسٍ، والحارث ابن أخي سعد بن مُعَاذ في خمسة رَهْطٍ أتوه عَشِيَّةً، وهو في مجلسهم بالعوالي. فلما رآهم كعب أنكرهم وكاد يُذَعِّرَ منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءت بنا إليك حاجة. قال: فليدُنْ إليَّ بعضكم فليحدثنني بها. فدنا إليه

(١) سبق تخريجه.

بعضهم فقال: جئناك لنبيعك أدرأعاً لنا لنستنفق أثمانها. فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهدْتُمْ، قد نزل بكم هذا الرجل. فواعدهم أن يأتوه عشاءً حين يهدأ عنهم الناس. فجاؤوا فناده رجل منهم، فقام ليخرج فقالت امرأته: ما طروقك ساعتهم هذه لشيء تُحبُّ. فقال: بل إنهم قد حدّثوني حديثهم. فاعتنقه أبو عبس، وضربه محمد بن مسلمة بالسيف، وطعنه بعضهم بالسيف في خاصرته. فلما قتلوه فرغت اليهودُ ومن كان معهم من المشركين. فغَدَوْا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنَّه طُرِقَ صاحبنا الليلة وهو سيّد من ساداتنا فقتل، فذكر لهم رسول الله ﷺ الذي كان يقولُ في أشعاره، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فكتب بينهم صحيفة. وكانت تلك الصحيفة بعده عند عليٍّ. أخرجه أبو داود^(١).

وذكر موسى بن عُقبة وغيره أنَّ عَبَّاد بن بَشْر كان معهم، فأصيب في وجهه بالسيف أو رِجله.

وقال يونس بن بُكَيْر، عَنْ ابن إسحاق: حدّثني ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عَبَّاس قال: ومشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع العَرَقَد، ثم وجَّههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم.

وذكر البَكَّائِي، عن ابن إسحاق^(٢) هذه القصّة بأطول ممّا هنا وأحسن عبارة، وفيه: فاجتمع في قتله محمد، وسليكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة الأشهلي، وعَبَّاد بن بَشْر، وأبو عَبْس بن جبر الحارثي. فقدموا إلى ابن الأشرف سِلْكان، فجاءه فتحدّث معه ساعة وتناشدا شِعْراً، ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف، إنّي قد جئت لحاجة أريد ذِكْرَهَا لك فاكتب عني. قال: أَفْعَلُ. قال: كان قدوم هذا الرجل

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠)، وانظر المسند الجامع حديث (١١٢٦٣).

(٢) ابن هشام ٥٤-٥٨.

علينا بلاءٌ من البلاء، عادتُنا العربُ ورمونا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُطِعَتْ
عنا السُّبُلُ حتى ضاع العيالُ وجُهِدْنَا. فقال: أنا ابنُ الأشرف! أما والله
لقد أخبرْتُك يا ابنَ سلامة أنَّ الأمرَ سيصيرُ إلى ما أقول. فقال: إنِّي
أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونَرْهَنُكَ ونُوثِّقَ لك، وتُحسنَ في ذلك. فقال:
أترَهَنُوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتُ أن تفضحنا، إنَّ معي أصحاباً لي
على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيك بهم فتبيعهم، وتُحسنَ في ذلك،
ونَرْهَنُكَ من الحَلَقَةِ ما فيه وفاء. قال: فرجع سِلْكَان إلى أصحابه
فأخبرهم خَبَرَهُ، وأمرهم أن يأخذوا السِّلَاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه.
واجتمعوا، وساق القِصَّة.

قال ابن إسحاق^(١): وأطلق رسولُ الله ﷺ قتلَ اليهود، وقال: مَنْ
ظفرتم به من اليهود فاقتلوه. وحينئذٍ أسلم حُوَيْصَةُ بن مسعود، وكان قد
أسلم قبله أخوه مُحَيِّصَةُ. فقتل مُحَيِّصَةُ ابنَ سُنَيْتَةَ اليهودي التاجر، فقال
حويصة قبل أن يُسلم وجعل يضرب أخاه ويقول: أيُّ عدوِّ الله قَتَلْتَهُ؟ أما
والله لَرُبَّ شَحْمٍ في بطنك من ماله. فقال: والله لقد أمرني بقتله من لو
أمرني بقتلك لضربتُ عنقك. قال: والله إنَّ ديناً بلغ بك هذا لَعَجَب.
فأسلم حُوَيْصَةُ.

وفي رمضان: وُلد السيد أبو محمد الحسن بن علي، رضي الله
عنهما.

وتزوج النَّبِيُّ ﷺ بحفصة بنت عمر.

وفي هذه السنة: تزوج أيضاً بزَيْنَب بنت خُزَيْمَةَ، من بني عامر بن
صَعَصَعَةَ، وهي أُمُّ المساكين، فعاشت عنده شهرين أو ثلاثة، وتُوُفِّيَتْ.
وقيل: أقامت عنده ثمانية أشهر، فالله أعلم.

(١) ابن هشام ٥٨/٢-٥٩.